

الاتفاق النووي الإيراني- الأميركي: رؤية باكستانية

أحمد موفق زيدان
مركز الجزيرة للدراسات

العامل الطائفي الإيراني في باكستان

باكستان تخشى المسألة المذهبية لأنها عامل انقسام داخلي
إيران تستثمر في أحزاب باكستانية وبعضها أصبح ملك يدها
هناك نفوذ طائفي موالٍ لإيران في المؤسسات الإعلامية
تميل النخب الباكستانية إلى إيران وسياساتها

الاتفاق النووي الإيراني- الأميركي: رؤية باكستانية

رُحِّبَت باكستان بتسوية ملف إيران النووي، سلمياً، وكذلك فعلت بعض الأوساط السياسية والإعلامية التي رأت في الاتفاق النووي الإيراني-الأميركي فرضاً اقتصادياً وإنعاشاً للحركة التجارية ومينحاً ستأتي لاحقاً عند رفع العقوبات الأميركية عن مشروع مد أنابيب الغاز الإيراني إلى أراضيهما، لكن الإيجابيات هذه وإن طفت على السطح لا تخفي مخاوف باكستان من خطر انتقال التفاوض الإيراني إلى عقر دارها وإنشاء تحالفات مع أعدائها.

مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الباكستاني

مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الهندي عبر بحر العرب

مشروع "حزام واحد وطريق واحد" للصين وبتأييد باكستاني

مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الباكستاني

مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الهندي عبر بحر العرب

مشروع "حزام واحد وطريق واحد" للصين وبتأييد باكستاني

هل من خطر على النووي الباكستاني؟

باكستان دولة نووية علنية وإيران دون ذلك

أضحت إيران أن بعض أجهزتها النووية باكستانية

تمتلك باكستان قدرات عسكرية ضخمة وجيشاً محترماً

تمتلك بنية تحتية عسكرية قوية جوية وبحرية وبرية

مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الباكستاني

مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الهندي عبر بحر العرب

مشروع "حزام واحد وطريق واحد" للصين وبتأييد باكستاني

مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الباكستاني

مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الهندي عبر بحر العرب

مشروع "حزام واحد وطريق واحد" للصين وبتأييد باكستاني

أفغانستان: عقدة المنشأ

أفغانستان عمق استراتيجي لباكستان لا يمكن المساومة عليه

مخاوف باكستانية من أن تحاصرها الهند بتحالفها من الجهة الأفغانية

مخاوف من حلف هندي-إيراني بأفغانستان شبيه بما كان بالتسعينيات

لم تواجه باكستان وضغاً صعباً وتحدياً حقيقياً كما تواجه اليوم على صعيد الاختيار بين مسارين، إما مع إيران وسياستها، أو مع الخليج والسعودية وتوجهاتها، خاصة أن المنطقة وكل الفاعلين فيها على مفترق طرق عدة بعد الاتفاق النووي الإيراني-الأميركي، ويصعب على هذه الدول ومنها باكستان أن تنفق على الحيد. فبعد موقفها الرافض لإرسال قوات لباكستانية لتقتال في اليمن تواجه باكستان اليوم استحقاقاً ما بعد الاتفاق النووي الإيراني-الأميركي وتداعياته السياسية، وخطر انتقال التفاوض الإيراني من ساحة الشرق الأوسط إلى رقعة جنوب ووسط آسيا ومخاطر نشوء أحلاف جديدة، لاسيما أن التنسيق والتعاون الإيراني-الهندي على أشده، وسينعكس تضييقاً وحصاراً على إسلام آباد أكثر فأكثر وفقاً لمؤشر تطوره واستمراره.

ويرى بعض المسؤولين والمحللين الباكستانيين أن الاتفاق النووي سيهدم منحنى اقتصادية لباكستان عندما يتم رفع العقوبات الأميركية عن مشروع مد أنابيب الغاز الإيراني إلى أراضيهما، لكنه بالمقابل سيفرض تحديات سياسية أحدها تعارض المصالح وربما الاشتباك بين إسلام آباد وطهران في أفغانستان. لا يزال يحسب الاتفاق النووي الأميركي-الإيراني وانعكاساته على الفضاء الباكستاني خوفاً جدياً، وهذا ليس مقتصرًا على السياسيين الباكستانيين فحسب، وإنما حتى على الخبراء والمحللين والكتاب ووسائل الإعلام، أما من سعى منهم إلى بحثه فقد أسهب في إيجابيات فولده الاقتصادية المترتبة على رفع العقوبات الأميركية عن إيران، لاسيما إعادة إحياء مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الباكستاني المجد منذ سنوات. ويقر فرح الباكستانيين برفع العقوبات الدولية عن إيران لمصالحهم الاقتصادية فإن هناك انزعاجاً هدياً منه لأنه سيتم منح فرصاً اقتصادية إيرانية أخرى للكثيرين سواهم ومنهم باكستان، غير أن التداعيات السياسية لهذا الاتفاق على باكستان، والاعتراف الدولي بإيران كقوة إقليمية لم يتم التفرقة بينهما، إماماً لطبيعة باكستان الحساسة تجاه إيران - وهذا خلفياته وأسبابه حيث إن النخب الباكستانية منحلة لطهران ما يعزز من قوة التوبي الإيراني، ويساعد إيران على النفاذ إلى الداخل الباكستاني - أو بسبب مخاوف باكستان وهو اجسامها من أن أي توتر مع طهران ستستغله الهند لتعزز علاقاتها مع هذه الأخيرة وبالتالي العمل على محاصرة إسلام آباد.

لعبة الغاز العظمى تتواصل

قطعت واشنطن قول كل سياسي ومحلل باكستاني حين أعلنت الخارجية الأميركية أخيراً أن مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الباكستاني لا يشمل رفع العقوبات الدولية عن إيران (1)؛ ما يعني أن نشوء الفرع والأمل الباكستاني تخرت سريعاً، وبات على الباكستانيين مواصلة لعبة الانتظار التي أدمنوها على أمل أن ترفع أميركا العقوبات عن المشروع، وهو مستبعد على ما يبدو.

وفي هذا السياق يمكن رصد ثلاثة مشاريع اقتصادية تزدحم بها المنطقة، وليس من السهل حسم إحداها على حساب الآخر نظراً لحساسيات إقليمية ودولية سياسية واقتصادية وجيوستراتيجية:

مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الباكستاني: وهو المشروع الذي أكملت إيران بنائه من طرفها، ويانتظر أن تقوم باكستان ببنائه من طرفها، ولكن لهذا المشروع محاذير ليست بالسهلة، فالهند لا تحبّه سعيًا لحرام عدوتها التقليدية باكستان من فوائده الاقتصادية، وعزز موقفها دعم واشنطن لمشروع مد أنابيب غاز تركمانستان-باكستان-الهند والمتوقع أن يوفر هيمنة هندية (2) على منطقة آسيا الوسطى البكر، وربما يفسر على أنه رد على حرمان باكستان

من هونغ كونغ تجارة الترانزيت باتجاه أفغانستان.

مشروع أنابيب غاز إيراني-هندي عبر بحر العرب

تفادي المرور بالأراضي الباكستانية، وهو يعزز من الشراكة الاستراتيجية بين الهند وإيران التي تُرجمت بتوجه اقتصادي واضح عبر بناء ميناء تشاربهار القريب من مينائي غوادر الباكستاني وعمان، والمتوقع أن ينتهي العمل به في ديسمبر/كانون الأول 2016. وسيكون تشاربهار بوابة البضائع الهندية إلى أفغانستان وآسيا الوسطى، ويتزامن بناؤه مع بناء بنية تحتية هندية-إيرانية في أفغانستان وما وراءها في آسيا الوسطى، عبر وصل ولايتي فراه ونيمروز الأفغانييتين بديارم الإيرانية عبر طريق بري يصل طوله إلى 200 كم، بالإضافة إلى شبكة مواصلات عكفت الهند على تنفيذها في أفغانستان خلال فترة السنوات العشر الماضية من حكومة أفغانية موالية لها وإيران ومعدية أو غير صديقة

من أكثر الجولات والسياسيين تحدثاً بصراحة نسبياً عن السياسة الإيرانية، حيث قال: "لو نظرنا إلى فترة الثمانينات والتسعينات وحتى لست 10 عاماً الماضية في علاقتنا مع إيران لوجدنا أنها إما تسير في اتجاهات متناقضة أو تنافسية، واختلافنا معها إما بشأن ميناء تشاربهار أو القضية الأفغانية، ولا بد أن نبذل جهداً كبيراً للتوصل لاتفاق مشترك (7)".

ووصل الأمر برئيس مجلس علماء باكستان، طاهر أشرفي، إلى حدّ الكشف عن وجود مقاتلين باكستانيين شبيعة في سوريا: "للاسف وصلتنا المعلومات الموثوقة والمهمة عن هذه المشاركة، وهناك حدود 400 شبيحة باكستاني يقفون في الشام إلى جانب بشار الأسد (8)". ولا يستبعد كُتّاب ومحلّون أن تنقل إيران حالة الفوضى السورية من خلال هؤلاء المقاتلين إلى أراضيها، الذين قد يتورطون في عمليات قتل طائفي (9).

هذه المخاوف لم تولد من فراغ فتمهيد لها على مستوى صياغة الرأي العام الباكستاني الداخلي، ويمكن إدراكه من حجم النفوذ الطائفي الموالٍ لإيران في الإعلام من خلال المقالات والتقرير المعديّة لتلومف والسياسات السعودية والخليجية بشكل عام، سواء تعلقت بالثورة السورية، أو بحملة التحالف العربي بقيادة السعودية ضد "الحوثيين" في اليمن، وبرز ذلك بشكل واضح من خلال الأقرار الذي صدر بالإجماع من البرلمان الباكستاني برفض إرسال قوات باكستانية لمساعدة السعودية، وهو قرار لعب الإعلام دوراً كبيراً فيه عبر الضغط على السياسيين وصنّاع القرار.

هل من خطر على النووي الباكستاني؟

العلاقة النووية الباكستانية-الإيرانية قديمة، إذ تعود إلى تهريب أو بيع أجهزة طرد مركزي نووية باكستانية لإيران، والمج إليها غير مرة الرئيس الباكستاني الأسبق، الجنرال برويز مشرف، بالقول: إن دولة صديقة هي من سرّبت أسرارنا النووية إلى الغرب؛ ما وضع باكستان وعلمها النووي عيباً القدير خان تحت الضغوط الدولية والأميركية تحديداً. ووفقاً لمسؤولين باكستانيين سابقين فإن القصة بدأت ببيع عبد القدير خان أجهزة طرد مركزية باكستانية لإيران كانت أرقامها مسجلة لدى وكالة الطاقة الذرية الدولية، والتي ما إن سلّمها طهران تلك الأرقام حتى تسببت بوضع باكستان تحت طائلة الملاحقة بدعوى أنها تقوم بنشر السلاح النووي، وخطها عرضة لضغوط أميركية ودولية وتحقيق مقاصد مع عالمها النووي (10).

وبخصوص استمرار باكستان كقوة نووية فإن مدير معهد الدراسات الاستراتيجية مسعود خان ينفي أن يكون هناك تداعيات للاتفاق النووي الإيراني-الأميركي على باكستان، فهي في وضع مختلف وقد أصبحت دولة نووية علنية، بخلاف الدول التي لم تتخط العتبة النووية كإيران (11).

جهدا الأمني والعسكري على جبهتين ضمختين. ولعل الإعلان عن وفاة زعيم حركة طالبان أفغانستان الملا محمد عمر بشكل مفاجئ من قِبَل الرئيس الأفغاني أشرف غني وذلك قبل يومين فقط من موعد الجولة الثانية من المفاوضات التي ترعاها باكستان بين طالبان أفغانستان والحكومة الأفغانية مؤشراً على طفو الخلاف على السطح؛ إذ يُعتقد أن ذلك تم من قِبَل التوبي الإيراني في الحكومة الأفغانية وتحديداً الدكتور عبد الله عبد الله، في إيران ليست متحمسة للمفاوضات ولا متحمسة لإشراك طالبان في الحكم؛ إذ يعني ذلك باختصار توزيع أرباحها الأفغانية على مناسف جديد، بالإضافة إلى جذب عدو مذهبي حقيقي كطالبان إلى الحكم، لها معه تاريخ مرير إبان حكمه 1996-2001؛ لذا فإن المصلحة الإيرانية تكمن في بقاء الوضع الراهن على حاله، أو ربما تكمن أيضاً في الدفع نحو الواجهة العسكرية الحادة مع طالبان أو مع تنظيم الدولة المتطلع إلى أن يرث تركة الملا محمد عمر.

وبالنسبة للعلاقة الباكستانية مع أميركا فإن تاريخها يُشير إلى أنها كانت عسكرية-إستراتيجية، فكانت محصورة تقريباً بين البنتاغون والسي أي إيه من جهة وبين قيادة الجيش الباكستاني في راولپندي من جهة أخرى، فلم تكن العلاقات بين البلدين على المستويات الاقتصادية والسياسية بعيدة المدى بالشكل التي كانت عليه في الجانب العسكري، وانحصر جهد واشنطن في توظيف باكستان عسكرياً في مواجهة الشيشونية والانحداد السوفيتي، ثم بمكافحة ما يوصف بالارهاب؛ لذا لا يُخفي بعض المسؤولين والخبراء الباكستانيين قلقهم من أن تحل إيران محلهم وتدعو محل الشراكة الأميركية في أفغانستان عوضاً عنهم، نظراً لخبرتها في التعاون مع أميركا خلال العقد الماضي بأهم قضيتين أميركياً، وهما: العراق وأفغانستان. ولعل ما يعزز المخاوف الباكستانية قرب واشنطن في الرؤية والتوجه من الهند وتوافق الأخيرة مع إيران في كثير من الملفات على رأسها دعم الحكومة الأفغانية -منتوج التحالف الغربي في أفغانستان بقيادة أميركا- وإجلاء طالبان عن السلطة حيلة باكستان التاريخية عام 2001.

العامل الطائفي

يُحجم الباكستانيون وتحديداً على المستوى السياسي عن الحديث عن العامل الطائفي نظراً لحساسيته المفرطة، ولكن كل من يتابع السياسة الباكستانية يلمس حجم الدور الإيراني الكبير في المجتمع الباكستاني، حتى إن أحد السياسيين الكبار وصف علاقة إيران مع بعض السياسيين الباكستانيين في لقاء خاص مع الباحث؛ فقال: "باتوا يستثمرون في الأحزاب السياسية وليس في تجمعات صغيرة فقد تحولت أحزاب كبرى إلى أندية بأيديهم (6)". ويمكن القول: إن مدير المخابرات العسكرية الباكستانية الأسبق، الجنرال المتقاعد إحسان الحق،



الخلاصة

سيستجئ الاتفاق النووي الإيراني-الأميركي أكثر ما يتجلى في علاقات إيران وباكستان بالعقده الأفغانية التي تشكل نقطة احتكاك حقيقية بين العاصمتين خاصة وأن إسلام آباد ترى في أفغانستان عمقا حيوياً لها ستقتل دونها، وهو ما قد يطبق حرباً خفية مستترة إليها أي مدى ستصبر أميركا على مواجهة قد تطيح بجهدا في أفغانستان وهو جهد قلّمها دماء وأموالاً حتى أتت بحكومة موالية لها في أفغانستان، وطردت أعداءها، طالبان؟

أما نقطة الاحتكاك الثانية المهمة فهي الاختراق الإيراني للطائفة الشيعية في باكستان بهدف إيجاد شريحة باكستانية موالية لها؛ وتخذي باكستان من أن يتطور دعم طهران لها، لاسيما مع عودة المقاتلين في سوريا والمنتزحين على العنف والقتال والمستعدين للثورات في عمليات مسلحة بذريعة محاربة "المتشددون السنة" ما سيؤثر على الأمن الداخلي الباكستاني وسينعكس على نفوذها في أفغانستان وفي محيطها الإقليمي، وسيصب حتماً في صالح السياسة الإيرانية المتمثلة بأضعاف دول الجوار.

نقطة الاحتكاك الأخرى هي الجانب الاقتصادي وأقرب إيران من الهند عدوة باكستان التقليدية إن كان على مستوى فتح ميناء تشاربهار لبضائعها وتسليمها إلى أفغانستان، أو أسواق آسيا الوسطى من خلال سلاح الاقتصاد، يُضف إليه مشروع أنابيب الغاز بين إيران وباكستان وقدره الهند على فشاله، وهو ما قد يعكس سلباً اقتصادياً وربما سياسياً على علاقة البلدين.

لكن بالمجمل، فإن باكستان حذرة جداً في الإفصاح عن سياساتها مع إيران، نظراً لنفوذ التوبي الإيراني في باكستان ولولا شرانح واسعة في "الطائفة الشيعية" هناك لطهران، بالإضافة إلى ميل النخب الباكستانية إلى إيران ما يجعل إسلام آباد في وضع المتلقي للضربات غالباً.

المصادر

- 1- مرسل صحفية "نون" الباكستانية من واشنطن: الخارجية الأميركية تقول: العقوبات على مشروع أنابيب الغاز الإيراني-الباكستاني لا تزال قائمة، الصادرة بتاريخ 3 أغسطس/آب/2015.
- 2- عاصف إزددي، الاتفاق النووي وجنوب آسيا، صحيفة ذي نيوز الباكستانية الصادرة بتاريخ 3 أغسطس/آب/2015.
- 3- للمصدر السابق.
- 4- لعن مسعود، نهاية الملا عمر: الفرص والمخاطر. صحيفة إكسبريس تريبيون الباكستانية الصادرة في إسلام آباد بتاريخ 5 أغسطس/آب/2015.
- 5- تقرير للصحافي كرمان يوسف عن مفاوضات السلام في مدينة مري الباكستانية، صحيفة إكسبريس تريبيون الباكستانية، الصادرة بتاريخ 5 أغسطس/آب/2015.
- 6- لقاء للباحث مع سياسي باكستاني معروف طلب حجب هويته نظراً لحساسية الموضوع، إسلام آباد 1 أغسطس/آب/2015.
- 7- انظر مقابلة الجنرال المتقاعد إحسان الحق مع قناة جيو الباكستانية، 1 يوليو/تموز/2015.
- 8- مقابلة رئيس مجلس علماء باكستان طاهر أشرفي مع جريدة الشرق القطرية، 17 يونيو/حزيران/2015.
- 9- فيسر راشد، العلاقات الباكستانية-الإيرانية: مرحلة جديدة، الدولي تايمز الباكستانية، 22 يوليو/تموز/2015.
- 10- لقاءات للباحث مع دبلوماسيين باكستانيين سابقين في إسلام آباد، 4 أغسطس/آب/2015.
- 11- لقاء الباحث مع مدير معهد الدراسات الاستراتيجية الباكستانية مسعود خان في إسلام آباد، في 30 يوليو/تموز/2015.
- 12- لقاء الباحث مع رئيس قسم العلاقات الدولية في جامعة قندي أعظم الدكتور ظفر الله جاسبال، 30 يوليو/تموز/2015.